المحاضرة 05: مدارس علم النفس

المدرسة هي توجه عام يتبناه مجموعة من علماء النفس ويتخذونه أساسا لوصف وتفسير الخصائص النفسية، وهي مظلة عامة تنطوي تحتها نظريات ونماذج نظرية متعددة إلا أنها تسلم جميعا بالافتراضات والمسلمات والأسس العامة للمدرسة التي تنتمي إليها.

يتحدد مفهوم **المدرسة** بمجموعة من المبادئ والأسس التي يتم وضعها بغرض تفسير الظواهر النفسية من خلال صياغة فروض معينة واستخدام أساليب منهجية معينة، ينتمي إلى المدرسة مجموعة من السيكولوجيين، يدافعون عنها علميا ويدعون إلى تبنيها، وغالبا ما يكون لهذه المدرسة قائد أو رائد أو عدة رواد يشاركون في بلورة أهم مبادئ المدرسة بحثا وكتابة.

وقد ظهرت أهم مدارس علم النفس في الفترة الممتدة ما بين 1879 إلى 1940 ثم انبثقت عنها اتجاهات نظرية ونماذج أخرى، من أشهر مدارس علم النفس: المدرسة البنائية (البنيوية أو التركيبية)، المدرسة الوظيفية، المدرسة الجشطلتية، المدرسة السلوكية، ومدرسة التحليل النفسي، المدرسة الانسانية والمدرسة المعرفية.

1- المدرسة البنائية:

أسس هذه المدرسة فوندت Wundt (1832-1920) وطورها تلميذه البريطاني ادوارد تتشنر Edward Titchener(1867-1937) الذي هاجر إلى أمريكا بعد أن تشبع بأفكار أستاذه، وعمل على نشر تلك الأفكار هناك، حتى أن الأمريكيين ينسبون تلك الأفكار إليه، وقد اهتمت تلك المدرسة بفهم **الاحساس والشعور** أو ما يعرف بالخبرة الشعورية أو المعرفة الشعورية، وقد حدد فوندت وتتشنر هدف علم النفس في:

- تحليل الخبرة الشعورية إلى عناصرها الأساسية.
- اكتشاف كيف تتركب هذه العناصر مع بعضها البعض، وتحديد القوانين التي تتحكم في هذا التركيب أو البناء ولهذا أطلق عليها مصطلح البنائية أو البنيوية أو التركيبية.

تستخدم المدرسة البنائية **منهج الاستبطان** في وصف الخبرة الشعورية وتحليلها، أي التأمل الباطني ووصف الخبرات الشعورية بأبسط التعبيرات الممكنة، حيث يقوم الباحث بحل مشكلة معينة ثم يسجل خبرته الشعورية منذ لحظة استقبال المشكلة إلى غاية وصوله إلى الحل تسجيلا وصفيا تفسيريا حتى تتوافر البيانات الخام التي يمكن تحليلها فيما بعد.

2-المدرسة الوظيفية:

أخذت المدرسة الوظيفية اتجاهها العلمي على يد مجموعة من علماء النفس والفلاسفة الأمريكيين على رأسهم **وليم جيمس، وجون ديوي وجيمس أنجل وهارفي كار، وودورث** بالإضافة إلى الفيلسوف الانجليزي **هربرت سبنسر**.

حيث كان يعتقد رواد المدرسة الوظيفية أن فهمنا للنفس البشرية لا يجب أن يقتصر على معرفة ما يدور في الشعور فقط، بل يجب أن تؤخذ البيئة أيضا بعين الاعتبار، باعتبار أن الانسان في تفاعل مستمر مع بيئته الخارجية، لذلك فقد درس الوظيفيون الشعور ولكن ليس من حيث مكوناته وعناصره كما ترى البنائية وإنما من حيث وظائفه التي تؤدي إلى التكيف مع البيئة، فنشاط العقل ووظيفته هي جعل الفرد يتكيف مع وسطه، وبالتالي تنادي هذه المدرسة بضرورة البحث ليس في ماهية العقل ومكوناته بل حول كيفية توظيف العقل وعملياته المختلفة في حل المشكلات.

تؤكد هذه المدرسة على ضرورة استخدام **المنهج التجريبي** في البحث العلمي الخاص بالظواهر النفسية.

3- المدرسة السلوكية:

مؤسس هذه المدرسة هو "**جون واطسن**"(1878- 1958) الذي كان متأثرا بأعمال **ايفان بافلوف** الفيزيولوجي الروسي (1849-1936) حيث دعى إلى **مبدأ أن علم النفس يجب أن يدرس فقط السلوك القابل للملاحظة** كالكلام والصراخ والحركات، كما أشار إلى أن تأسيس علم النفس على الاستبطان يقوده في الاتجاه الخطأ، وأن دراسة النفس البشرية يجب أن يكون علميا مثل الفيزيولوجيا، وعلم النفس ليس في حاجة إلى الاستبطان أو الطرق غير الكمية الأخرى بل يجب أن يتبع المسار الذي اتخذته علوم الفيزياء والكيمياء.

وقد دعى واطسن سنة 1913 في مقاله الأشهر إلى التخلي عن دراسة الوعي والخبرات الشعورية كرد فعل عن البنائية بقوله: علم النفس كما يراه السلوكي هو فرع تجريبي موضوعي لعلم طبيعي هدفه النظري هو التنبؤ بالسلوك وضبطه أو السيطرة عليه، وكل صيغ الاستبطان ليست جزءا من طرقه المنهجية في الدراسة. وقد سميت بالمدرسة السلوكية لأنها اهتمت بدراسة الحركات العضلية والاستجابات الغددية لحالة ما، ولم يعترف السلوكيون بمفهوم العقل، حيث أن العقل لا يمكن ملاحظته بصورة مباشرة، وترى هذه المدرسة أن **السلوك هو أي استجابة أو نشاط تقوم به الأعضاء وقابل** للملاحظة والقياس، **روادها هم ايفيان بافلوف وجون واطسن وسكينر**.

ويميل السلوكيون من الناحية المنهجية إلى **تفضيل المنهج التجريبي** القائم على الدراسات المخبرية والمعالجة الاحصائية للبيانات.

وتقوم المدرسة السلوكية على عدة مفاهيم هي:

- سلوك الانسان متعلم.
- المثير والاستجابة ، أي لكل مثير استجابة.
- التعزيز.
- الانطفاء: تكرار المثير الشرطي دون المثير الطبيعي يؤدي إلى إضعاف الاستجابة الشرطية وانطفائها.
- التعميم: المثيرات المشابهة للمثير الأصلي تؤدي إلى نفس الاستجابة.

4- المدرسة الجشطلتية:

في عام 1912 ظهرت بألمانيا مدرسة **الجشطلت** Gestalt وتعني هذه الكلمة في اللغة العربية **الصيغة أو النمط أو الكل أو الشكل الكلي**، وأول من تحدث عن ذلك هو ماكس فرتهايمر Max Wertheimer (1880-1943)، حيث نشأت فكرة الجشطلت عنده كنوع من الإلهام حدث معه وهو يستقل قطارا، وخطر بباله أنه إذا كان هناك ضوءان ينطفئ كل منهما ويضئ بشكل متتال، فسيظهران كما لو كانا نقطة واحدة مضيئة تتحرك إلى اليمين أو إلى اليسار، فلما وصل إلى مدينة فرانكفورت الألمانية اشترى جهاز ستيريوسكوب Stéréoscope وهي آلة تقدم صورا بسرعات مختلفة وأخذ يجري تجاربه على على الحركة الظاهرة التي سميت بحركة فاي Phi التي تعرف أيضا بالحركة الخادعة وهي تسمح بظهور الحركة من مثيرات ثابتة وذلك حين تقديمها متتابعة في وضعيات متجاورة وهذه الظاهرة هي التي تفسر لنا الحركة في الرسوم المتحركة التي كانت أنذاك.

وفي رأي علماء مدرسة الجشطلت أنه إذا ما أردنا أن نفهم لماذا يقوم الكائن الحي بالسلوك الذي يسلكه فلابد لنا أن نفهم كيف يدرك الكائن الحي نفسه والموقف الذي يجد نفسه فيه، ومن هنا كان **الإدراك من القضايا الأساسية في التحليل الجشطلتي بمختلف أشكاله.**

فعندما يواجه الانسان مشكلة معينة يتوجب عليه حلها يجب أن يستعرض الموقف ككل ويدرك العلاقات التي تربط بين أجزائه، وهو ما يسمى عند الجشطلتيين بالاستبصار، ويعني **الاستبصار**: الخبرة التي تتناول المجال ككل، وفهم ترابط أجزائه وطريقه عمله وكيفية التوصل إلى الحلول المناسبة وبهذا يكون الاستبصار هو تحقيق الفهم الكامل.

بعبارة أخرى **الاستبصار هو الإدراك الكلي لما بين أجزاء الموقف من علاقات رئيسية والتي ترتبط فيما بينها وفق نظام متكامل.**

من أهم رواد المدرسة الجشطلتية: **ماكس فرتهايمر (1880-1943) Max Wertheimer، كورت كوفكا (1886-1941) Kurt Koffka، ولفانغ كوهلر (1887-1967) Wolfang Kohler**

وهكذا يختلف اهتمام الجشطلتيين عن اهتمام البنائيين والوظيفيين وحتى السلوكيين في أنهم يهتمون بموضوع الإدراك ويرفضون تحليل المواقف أو الظواهر المدركة أو السلوك إلى أجزاء وعناصر بل يؤمنون بالإدراك الكلي للظواهر.

5- مدرسة التحليل النفسي:

مؤسس هذه المدرسة هو الطبيب النمساوي "**سيجموند فرويد**" (1856 - 1939) ، كما اشترك معه بعض العلماء في جزء من تصوره حول التحليل النفسي، منهم **كارل يونج** (1875-1961) **وألفرد آدلر** (1870-1937) و"**آنا فرويد** (1895-1982) ، كما ظهر ما يسمى بعد ذلك بالفرويديون الجدد الذي احتفظوا بالمسلمات الأساسية مع تقديمهم لفكر جديد مخالف لفكر" فرويد" ومن بينهم "**إريك فروم** (1900-1980) **وكارن هورني** (1885-1952) **وهاري سوليفان** (1892-1949)" **وكارل ابراهام** (1877-1925)

لقد ابتكر فرويد التحليل النفسي كطريقة في علاج الاضطرابات النفسية أولا ثم كنظرية في الشخصية ثانيا.

المسلمات الأساسية لمدرسة التحليل النفسي:

- التأكيد على الحتمية البيولوجية وإهمال العوامل الثقافية والاجتماعية.
- أهمية الخبرات اللاشعورية.
- أهمية الخبرات المبكرة في الطفولة.
- أهمية عملية الكبت والتي يتم عن طريقها تحويل خبرات الطفولة المؤلمة إلى خبرات لا شعورية.
- تقسيم العقل إلى الشعور وما قبل الشعور واللاشعور، وأن الحياة اللاشعورية قد تكون السبب في نشأة المرض النفسي.
- التأكيد على غريزة الجنس ودورها في نمو الشخصية.

وتقوم نظرية فرويد على مبدأين أساسيين هما **مبدأ اللذة ومبدأ الألم** ومنه فان السلوك الإنساني تحكمه غريزتان هما **غريزة الحياة وتشبع عن طريق الجنس وغريزة الموت وتشبع عن طريق العدوان**، وحسب

فرويد فإن السلوك الانساني يحدث ضمن اللاوعي، واعتبر أن الاحلام تلعب وظيفة ديناميكية في التنفيس الانفعالي وخفض درجة القلق الناتجة عن الصراعات اللاشعورية ، ويرى أن الرغبات التي لا تتحقق تكبت في ساحة اللاشعور خاصة الخبرات الجنسية المؤلمة في الطفولة.

مكونات الجهاز النفسي حسب مدرسة التحليل النفسي:

- **الهو:** يولد الطفل مزودا به ويرتبط بالغرائز الاساسية وأهمها الجنس والعدوان ويسير وفق مبدأ اللذة.
- **الانا :** ينمو في مرحلة الطفولة وينفصل عن الهو كنتيجة للضغوط التي يفرضها الواقع على الفرد، فيكون الانا كوسيط للموازنة بين رغبات الهو والأنا الأعلى بطرق مشروعة اجتماعيا.
- **الأنا الأعلى:** يمثل القيم الوالدية مثلا أو معايير المجتمع والدين حول ما هو مقبول أو غي مقبول كقوة ضاغطة على الهو وعلى الأنا عندما يتساهل مع الهو.

أما مدرسة التحليل النفسي بقيادة "فروم وسوليفان" فقد انتقدوا فرويد في تركيزه على دور العامل الجنسي في مرحلة الطفولة المبكرة في تكوين الشخصية السوية وغير السوية ، كما انتقدوه في دور الغرائز كمحركات للسلوك ، بل ركزوا على دور الدوافع والحاجات محركات للسلوك كما ركزوا على دور العوامل الحضارية والثقافية في تشكيل الشخصية، أما الاضطرابات النفسية فتعود للحاضر والماضي القريب للمريض.

وبالنسبة **للمنهج المستخدم في التحليل النفسي هو دراسة الحالة،** فعلى المختص مساعدة المريض عبر العديد من الجلسات من استعادة الوقائع والأحداث الدفينة في اللاوعي بجزئياتها وتفاصيلها، والعمل على إضعاف المقاومة وإزالة حواجز الرقابة المفروضة على المكبوتات ليسهل تسربها إلى سطح الوعي، فالأفكار والمشاعر المكبوتة حسب فرويد تتخذ صورا ومظاهر مقنعة وتناور الرقابة الصارمة وتفلت منها وتتسلل إلى الوعي كما هو الحال في زلات اللسان والقلم والأحلام.

6- المدرسة الانسانية:

في الأربعينيات من القرن 20 ظهر الاتجاه الانساني في علم النفس، الذي يهتم أساسا بالشخصية السوية، وقد نبع من عدة مصادر سيكولوجية أهمها: مفهوم تحقيق الذات **لأبراهام ماسلو Abraham Maslow**(1908-1970) ونظرية الذات **لكارل روجرز Carl Rogers** (1902-1987) بالإضافة إلى أعمال **جوردن ألبورت Gordon Allport** (1897-1969)

ومن **مبادئ علم النفس الانساني** أن الانسان حر في إرادته وايجابي في نشاطه، وليس سلبيا تتحكم فيه البيئة كما تذهب إليه السلوكية، أو تتحكم فيه الغرائز والدوافع اللاشعورية (الجنسية والعدوانية) كما ترى مدرسة التحليل النفسي، وأهم دافع ينشط الكائن الانساني هو تحقيق الذات والتفوق والنجاح.

كما يركز الاتجاه الانساني على أهمية وعي الفرد في تفسير وفهم الواقع، وذلك ككائن ذي إرادة وقدرة على اتخاذ قرارات ومواقف ايجابية في الحياة، ويتمثل هدف الحياة حسب أصحاب هذا النموذج في أن يعمل الفرد على تطوره وارتقائه نحو الأفضل.

من أهم اسهامات ماسلو دراساته عن الحاجات الفردية ووضعه لهرم الحاجات التي تتدرج تدرجا هرميا كما يوضحه الشكل التالي:

أما روجرز فيعتبر من السيكولوجيين الأمريكيين الذين اهتموا بالعلاج النفسي وعمليات التعلم، ويؤكد أن التعلم الفعال يتحقق عندما:

- يشارك المتعلم بصفة كلية في عملية التعلم.
- تكون عملية التعلم قائمة على المواجهة المباشرة مع مشكلات عملية، اجتماعية، شخصية...
- يكون التقويم الذاتي هو الطريقة الأساسية لتقدير تقدم المتعلم ونجاحه.

كما أكد على أهمية التعلم والانفتاح على التغير.

7- المدرسة المعرفية:

في نفس الوقت تقريبا ظهر الاتجاه المعرفي في علم النفس، ويؤكد أصحابه أن علم النفس ينبغي أن يهتم بالمعرفة، أي بما يجري داخل عقل الفرد عند استقباله للمدخلات الحسية، ومعالجتها وتحويلها إلى معلومات وأنماط سلوكية، حيث يتم ترميز المدخلات الحسية ومعالجتها وتخزينها واستعادتها لاستخدامات لاحقة في صورة أنماط سلوكية، وبالتالي فعلم النفس المعرفي يعتني بدراسة عدد من الموضوعات الأساسية في علم النفس مثل: الانتباه، الإدراك، الذاكرة، التفكير، حل المشكلات واللغة.

وهنا تتمثل إسهامات علم النفس المعرفي في تفسير السلوك على أساس فهم العمليات المعرفية التي تقع بين التنبيه والاستجابة، من خلال المعالجة المعرفية للمعلومات.

ويعتبر **جون بياجيه Jhon Peaget** (1896-1980) مؤسس المدرسة المعرفية .